السنة الثانية والخمسون بعد المئة

فيها غَزا الصائفة محمد بن الإمام، وغزا حُميدُ بن قحطبة كابُل، وكان والياً على خراسان.

وفيها قتلت الخوارج معنَ بن زائدة بسجستان، وقَتل أبو جعفر هاشم بن الأسماهيج[1] ، وكان قد عصى عليه بإفريقيَّة، فحُمِل إلى العراق، فالتقاه أبو جعفر بالقادسيَّة، فضرب عنقَه.

وفيها توفي

سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى[2]

وكنيته أبو أيوب التميمي، ويُعرف بابن بنت شرحبيل، فقيه أهل دمشق.

وقال الحافظ ابن عساكر: كان ثقةً، إلَّا أنَّه لسلامةِ صدره يروي عن الضعفاء.

وحج المنصور في هذه السنة ولم يعلم به محمد بن سليمان بالكوفة ولا عيسى بن موسى حتى جاوز الكوفة أو قرب منها، وكان قد أَخفى عليهما مسيرَه لغرضٍ له.

وكان العمالُ على ما هم عليه في العام الماضي إلَّا مصرَ والبصرة، وقد ذكرنا ذلك.

وفيها توفي

صالح بن علي

ابن عبد الله بن عباس، ولد بالسراة من أرض البلقاء سنة ستٍّ وتسعين، وأبو جعفر أكبر منه بشهرين، وأمُّ صالح سعدى، وقد ذكرنا أنه كان مع أخيه عبد الله بن علي على فتح دمشق، وأنَّه تَبع مروان إلى مصر حتى قتله، وولي الموسم وإمرة دمشق.

وذكره خليفة فقال: وفي سنة ثمان وثلاثين ومئة نزلَ صالح مرجَ دابق، وأقبلت جيوش الروم مع قسطنطين في مئة ألف، فلقيه صالح فنصره الله عليه، فقتلَ وسبى،

---

(١) كذا في (خ) وأصول المنتظم كما أشار إلى ذلك محققه ٨/ ١٥٥، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤١ : الأشتاخنج. وفي الكامل ٥/ ٦٠٨ : الأساجيج.

(٢) إيراد سليمان بن عبد الرحمن في وفيات هذه السنة وهم؛ لأنه توفي سنة ٢٣٣ هـ، وولادته في هذه السنة أو التي بعدها. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٩٨.

ونجا سالماً.

قال: وصالح حجَّ بالناس في سنة إحدى وأربعين ومئة[١].

وقال الوليد بن مسلم فيما حكاه عنه الحافظ ابن عساكر: وفي سنة سبع وثلاثين ومئة لَمَّا أفضى إلى أبي جعفر الأمرُ غزا صالح الروم، فقدم الشام فنزل بدير سمعان وحلب وما يليها، ثم أغزى الصائفة في سنة ثمان وثلاثين ومئة في أهل المشرق، وأغزاه أبو جعفر الصائفةَ في سنة ثلاث وأربعين ومئة، فنزلَ على جسر جيحان وبنى عليه حصن أذنة[٢]. وقد ذكرنا ذلك.

واختلفوا في وفاته قال يعقوب بن سفيان: توفي في سنة اثنتين وخمسين ومئة، وهو على حمص وقنسرين، فاستخلفَ ابنه الفضل بن صالح مكانه، فأقرَّه أبو جعفر[٣].

وقال يعقوب بن سفيان: وبلغني أنه مات بعين أباغ من ناحية الشام وقد بلغ ثمانيةً وخمسين سنة[٤].

معن بن زائدة بن عبد الله الشَّيباني

وكنيته أبو الوليد، وقيل: أبو يزيد، وقد نسبه الجوهريُّ فقال: وقولهم: حَدِّث عن معنٍ ولا حرج، فهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك الشيباني، وهو عم يزيد [بن مَزْيَد][٥] بن زائدة.

وكان معن أجود العرب، وكان شجاعاً فطناً، سيِّد الأجواد ممدحاً.

وقد ذكرنا أنَّه كان مع ابن هبيرة بواسط، فلمَّا وقع الصلحُ بعثَه أبو جعفر إلى أخيه أبي [العباس[٦]] السفاح ببشارة فتح واسط وأن يستحلفَه لابن هبيرة، وقَتل أبو جعفر ابنَ هبيرة،

(١) تاريخ خليفة ص٤١٧، ٤١٩.

(٢) في تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٨ (مخطوط) أنه وجه هلال بن ضيغم السلامي من أهل دمشق في جماعة من أهل دمشق فبنوا على جسر سليمان حصن أذنة.

(٣) المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٩.

(٤) قوله: وبلغني، هو من كلام الحافظ ابن عساكر. انظر تاريخ دمشق ٨/ ٢٠٨ .

(٥) ما بين حاصرتين من الصحاح (معن).

(٦) في (خ): أبي السفاح وما بين حاصرتين زيادة من عندنا.

ونجا معن؛ لأنَّه كان عند أبي العباس بالهاشمية.

ذكر طرف من أخباره:

قال الهيثم بن عدي: كان أبو جعفر قد ولَّاه الولايات، فنُقِل إليه أنه احتجز الأموال، فغضب عليه وتهدده إلى يوم الهاشمية، فلمَّا فدى المنصورَ بنفسه وقاتلَ بين يديه تقدَّم عنده تقدُّماً عظيماً، فولَّاه اليمن، فأعطَى عطايا لم يعطها أحدٌ غيره؛ أتاهُ أعرابيٌّ فأنشدَه أبياتاً من الشعر، فأعطاه مئة ألف درهم.

وقال المدائني: دخلَ عليه أبو جعفر[1] يوماً ومعن يقاربُ في الخُطا فقال: يا معن كَبُر سنُّك، فقال: يا أمير المؤمنين في طاعتك، قال: وإنَّك لتتجلَّد، فقال: على أعدائك، فقال: إنَّ فيك لبقية، قال: هي لك.

قال: ودخلَ عليه يوماً، فنظرَ إليه أبو جعفر، ففكَّر واحمرَّ وجهُه وقال: لست أنسى لك يوم واسط مع ابن هبيرة، وهمَّ أن يضربَه بعمود، فقال: يا أمير المؤمنين، ذاك نصري لباطلهم، فكيف بحقِّك؟ فقال له: أحسنت، وولَّاه سجستان.

ورَوى مروان بن أبي حفصة قال: كان المنصورُ قد طلبَ معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالاً، قال: فحدثني معن باليمن أنَّه اضطُر لشدَّة الطلب، قال: وكنت ببغداد فوقفت في الشمس حتى لوَّحَتْ وجهي، وخَفَّفتُ عارضَي لحيتي، ولبستُ جبَّة صوف خشنة، وركبت جملاً في زيِّ الأعراب، وتنكرت، وخرجت من بغداد أريدُ البادية، فلمَّا صرت بباب حرب تبعني أسودٌ متقلِّدٌ سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبضَ على خطام الجمل فأناخه وقبضَ عليّ، فقلت: ما لك؟ فقال: أنت طَلِبَةُ أميرِ المؤمنين، فقلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال: أنت معنُ بن زائدة، فقلت له: يا هذا اتَّقِ الله[2]، فقال: دع عنك هذا، فأنا والله أعرفُ بك من نفسك، قال: فقلت: فإن كنتُ كما تقول فهذا جوهرٌ له قيمة، حملتُه معي بأضعاف ما بذل المنصور في طلبي لمن جاء بي، فخذه ولا تسفك دمي، فقال: هاته، فأخرجتُه إليه، فنظر فيه ساعةً، فتحيَّر، قال: صدقت في قيمته، ولست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتَني أطلقتك، قلت: قل، قال: فإنَّ الناسَ قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبتَ قطُّ

(١) كذا في (خ). والصواب ـ كما في تاريخ بغداد ١٥/ ٣١٧ ـ : دخل على أبي جعفر.

(٢) في الأغاني ١٠/ ٨٤، والفرج بعد الشدة ٤/ ٥٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٤٥ : اتق الله، وأين أنا من معن.

مالكَ كله؟ قلت: لا، قال: فنصفه؟ قلت: لا، قال: فثلثه؟ قلت: لا، حتى بلغ العشر، فاستحييت منه وقلت: أظنّ، فقال: ما أراك فعلته، أنا رجلٌ[1] ـ أو عبد ـ رزقي من أبي جعفر عشرون درهماً، وهذا الجوهرُ قيمته آلاف الدنانير، قد وهبتُه لك، ووهبتُ لك روحك؛ لجودك المأثور بين الناس، ولتحتقرَ بعد هذا كلَّ شيءٍ تعملُه، ولا تتوقَّف في مكرمة، ثمَّ رَمى بالعقد في حجري، وخَلَّى زمام البعير وانصرف، قال: فقلت له: يا هذا، والله لقد فضحتَني ولَسَفكُ دمي أهونُ عليَّ مِمَّا فعلت، فخذ هذا العقد، فإنِّي غنيٌّ عنه، فضحك وقال: أردتَ تكذبني في مقالي هذا، والله لا آخذه ولا آخذ للمعروف ثمناً أبداً، قال: فوالله لقد طلبته لَمَّا أمنت، وبذلتُ لمن جاءَ به ما شاء، فما عرفت له خبراً.

وفي رواية أن معن قال: فلمَّا رضي عنِّي المنصور سألني عمَّا جرى لي في غيبتي، فأخبرتُه خبرَ العبد، فطربَ وقال: لا يبقى في العبيد عبدٌ إلَّا ويعرض عليّ وأنا قاعد، فجعلوا يعرضون العبيد حتى مرَّ بي صاحبي، فقلتُ: هذا والله هو، فأحسنَ إليه المنصور ووصلَه، وجعلَه من خاصته.

وروى الخطيب عن أبي عبيدة قال: وقف شاعرٌ بباب معن حولاً لا يصلُ إليه، وكان معن شديدَ الحجاب، فكتب إليه: [من الوافر]

إذا كان الجوادُ له حجابٌ ... فما فَضْلُ الجوادِ على البخيلِ

وفي رواية غير هذا:

إذا كان الكريمُ له حجابٌ ... فما فضلُ الكريمِ على اللئيمِ

فكتب إليه معن:

إذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ ... ولم يُعذَرْ تعلَّلَ بالحجابِ

فقال الشاعر: إنَّه قد آيسني من معروفه، ثمَّ ارتحلَ منصرفاً، وأُخبِر معن بانصرافه، فأرسل إليه بعشرة آلاف درهم. وقال: هي لك عندنا في كل زَوْرَة[2].

---

(١) كذا في (خ)، وفي الأغاني ١٠/ ٨٤، والفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ٥٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٤٦: راجل. وهو الصواب.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٣١٨ ـ ٣١٩.

وحكى أبو عثمان المازني قال: بينما معن جالس في أصحابه إذ أقبلَ أعرابيٌّ راكبٌ على بعير، فجاء حتى أبركَ بعيرَهُ ووقف بين يدي معن وقال: [من المنسرح]

أصلحكَ الله قلَّ ما بيدي ... فما أطيقُ العيالَ إذ كثروا
ألحَّ دهرٌ رمى بكلكلِهِ ... فأرسَلُوني إليكَ واعتذروا[1]

قال: فأخذت معن أريحيَّة وقال: لا جرمَ، والله لأُعجلنَّ أوبتَك، ثمَّ قال: يا غلام، ناقتي الفلانيَّة وألفُ دينار، فدفعَها إلى الأعرابيِّ وهو لا يعرِفُه.

وحكى القاضي التنوخي قال: إنَّ معنَ بن زائدة أُتي بثلاث مئة أسير، فأمرَ بضرب أعناقهم، فقال له غلام منهم: يا معن، تقتلُ أسراك وهم عِطاش؟ فقال: اسقوهم، فسقوهم، فقال: اقتلوهم، فناداه ذلك الغلام: يا معن، تقتلُ أضيافك؟! فأطلقهم[2].

وقال العتبي: كان معن مع جوده أحلمَ الناس.

ذكر وفاته:

حكى البلاذري قال: ولَّى أبو جعفر معن بن زائدة سجستان، فاندسَّ له قومٌ من الخوارج مع قومٍ من الصنَّاع كانوا يعملون في داره، فقتلوه وهو يحتجم، فقتلهم يزيد ابن مزيد[3].

وقال يعقوب بن سفيان: قتل معن بأرض خراسان سنة اثنتين وخمسين ومئة[4].

وقال الخطيب: بلغني أنَّ المنصور ولَّاه سِجستان، فنزل بُست، فأساء السِّيرةَ في أهلها فقتلوه[5].

ورثاه الشعراء، فقال الحسين بن مطير وهو من شعراء الحماسة هذه الأبيات: [من الطويل]

أِلمَّا على معنٍ فقولا لقبره ... سقتكَ الغوادي مَرْبعاً ثم مَرْبَعَا

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٣١٧ : وانتظروا.
(٢) الفرج بعد الشدة ٤/ ٩١.
(٣) أنساب الأشراف ٣/ ٢٧٠.
(٤) المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٩.
(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

فيا قبر معنٍ كيف واريتَ جُودَهُ وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا
ويا قبر معنٍ أنت أوَّلُ حفرةٍ من الأرض خَطَّتْ للسماحة مَضْجَعا
بلى قد وسعتَ الجود والجودُ ميِّتٌ ولو كانَ حيًّا ضِقْتَ حتى تَصدَّعا
فتًى عِيْشَ في معروفه بعدَ موتِه كما كان بعد السَّيلِ مجراهُ مرتعا
ولما مضَى معنٌ مضَى الجود وانقضى وأصبحَ عِرْنينُ المكارمِ أجدعا[1]

وهي من قصيدة منها:

وما كان إلَّا الجودُ صورةَ وجهه فعاش كريماً ثم ولَّى مودِّعا
وقد كان معن في المواقف غُرَّةً لآل نزارٍ ساميَ الطَّرفِ أروَعا[2]

ولما بلغت هذه الأبيات محمد المهدي شقَّ عليه فغضب وقال: ما أبقى ابن مطيرٍ لنا ولغيرنا شيئاً، فحكى البلاذري قال: خرج محمد المهدي يتصيَّد، فلقيَه الحسينُ بن مطير فأنشده: [من البسيط]

أضحَتْ يمينُك من جودٍ مصورةً لكن يمينُك[3] منها صورةُ الجودِ
من حُسنِ وجهك تُضْحِي الأرضُ مشرقةً ومن بنانكَ يجري الماءُ في العودِ

فقال له المهدي: كذبتَ، وهل تركتَ لأحدٍ في شعركَ موضعاً بعد قولك في معن:

ألِمَّا على معنٍ وقولا لقبره

فقال له الحسين بن مطير: يا أمير المؤمنين، وهل معنٌ إلَّا حسنةٌ من حسنات أبيك، أو من حسناتك، فرضي عنه، وأمرَ له بألفي دينار.

وقال الحافظُ ابن عساكر: كان الشافعيُّ ينشد للحسين بن مطير هذه الأبيات: [من الطويل]

وليس من الفتيان من راحَ أو غدا[4] لشربِ صَبُوحٍ أو لشربِ غَبُوقِ
ولكن فتى الفتيانِ من راحَ واغتدى لضرِّ عدوٍّ أو لنفعِ صديقِ

(١) الأمالي ١/ ٢٧٥.
(٢) انظر أنساب الأشراف ٣/ ٢٧٠، وتاريخ بغداد ١٥/ ٣٢١ ـ ٣٢٢.
(٣) في تاريخ بغداد ١٥/ ٣٢١، وتاريخ دمشق ٥/ ١٣٠ (مخطوط): لا بل يمينك.
(٤) في تاريخ دمشق ٥/ ١٣١: وليس فتى الفتيان من راح واغتدى.